المنجز النقدي عند أبي القاسم سعد الله
قراءة في المنهج والمصطلح

Critical Achievement with Abu al-Qasim SaadAllah
An Approach and Term Perusal

عبد السلام حميدي *

شريف نهاري♣

تاريخ الإرسال: 2020/07/21	تاريخ القبول: 13 / 09 / 2020	تاريخ النشر: 30 / 03 / 2021

الملخص :

يجمع كل النقاد والدّارسين أن ريّادة توظيف المناهج السيّاقية في النقد الجزائري الحديث تحسب لأبي القاسم سعد الله؛الذي استطاع بكفاءته العلمية إحداث نقلة نوعية في النقد ،حيث انتقل به من الطابع الذوقي التقليدي إلى النموذج المنهجي العلمي الحداثي ،الذي يدرس الظواهر الأدبية من منظور علمي ،معتمدا على مناهج ونظريات وآليات مفاهيمية وأدوات إجرائية.

لذا يأتي هذا المقال ليثير قضايا المناهج السياقية –التاريخي،الاجتماعي،النفسي- التي استخدمها سعد الله في دراسة النصوص الأدبية ،ويكشف عن جهازه المصطلحي الذي توسل به لتفسيرها .

الكلمات المفتاحية:

أبو القاسم سعد الله؛النقد الجزائري الحديث؛المناهج السياقية؛المصطلحات النقدية.

المؤلف المرسل: عبد السلام حميدي hamidiessalam@gmail.com

كلية الآداب واللغات جامعة ابن خلدون تيارت *hamidiessalam@gmail.com

كلية الآداب واللغات جامعة ابن خلدون تيارت ♣yacine213@hotmail.com

Abstract:

All critics agree that the leadership in employing contextual approaches in modern Algerian criticism is reckoned to Abu Al-Qasim SaadAllah, who, owing to his scientific competence, was able to make a quantum leap in criticism, as he shifted it from the traditional model to the systematic/methodical modernist paradigm. The latter studies literary phenomena from a scientific perspective dependent on approaches, conceptual mechanisms tools. Thus, this article comes to raise the contextual approach issues- historical, social and psychological – which were used by SaadAllah to study literary texts, and reveal his terminological device that he came up with to interpret it.

Key words: Abu al-Qasim SaadAllah; modern Algerian criticism; contextual approaches; critical terminology

*** *** ***

1. مقدمة:

يعتبر النقد السياقي على اختلاف مناهجه -التاريخي والاجتماعي والنفسي- آلية جديدة،أصبح يعتمد عليها النقد الجزائري الحديث في دراسة الظواهر الأدبية،يسبر أغوارها ليستكنه مضامينها،يؤرخ لظهوره في خمسينيات القرن الماضي ،بداية مع المنهج التاريخي ،وقد جاء ظهور هذه المناهج دفعة واحدة وفي فترات زمنية متقاربة بين(1954-1961)،خلافا لنشأتها في النقد الغربي،لسنا في حاجة إلى التفصيل فيها تجنبا للإطالة في هذا البحث ،ثم أن النقاد الجزائريين لم يكن لهم ارتباط بالنقد الغربي بصورة مباشرة بسبب العوامل السياسية وكذا الاجتماعية،فهذه المناهج ذات الأصول الغربية وفدت إلينا عن طريق الثقافة المشرقية ،بحكم مواصلة بعض النقاد الجزائريين –عبد الله الركيبي،محمد مصايف،أبو القاسم سعد الله- لدراساتهم الأكاديمية في الجامعات المشرقية ومصر على وجه التحديد،وكانوا تحت إشراف كل من سهير القلماوي وشكري الفيصل وعمر الدسوقي ،هذا الأخير الذي تتلمذ على يده الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي يعد المؤسس الحقيقي للنقد الحديث بمناهجه ؛التاريخي ،الاجتماعي والنفسي، في تلك الدراسات النقدية للأدب الجزائري؛شعرا ونثرا،التي كان ينشرها في مجلة الآداب اللبنانية ما بين (1954-1961)،هذه القامة العلمية التي برعت في حقول معرفية شتى،سنحاول من خلال هذا البحث الكشف عن الجانب النقدي في مسيرتها

العلمية،لإزالة الغموض الذي ظل يكتنفها ،لأن الكثير من طلاب العلم والمعرفة يعتقدون أن الدكتور أبا القاسم سعد الله مؤرخا لاستنادهم على موسوعته العلمية«تاريخ الجزائر الثقافي»،هذا من جهة ،ومن جهة ثانية أردنا تصويب بعض المغالط المتعلقة ببعض الأحكام النقدية حول النقد الجزائري الحديث،منها ما هو مرتبط بظهور المناهج النقدية والتأريخ لها وما هو مرتبط بالريّادة في توظيفها.

2.التجربة النقدية لدى أبي القاسم سعد الله:

خاض أبو القاسم سعد الله في كثير من الميادين المعرفية،فكان اللغوي والأديب والناقد والمؤرخ،صقل موهبته تنقله عبر عديد الجامعات العالمية،بداية بجامع الزيتونة في سن مبكرة ،ثم جامعة القاهرة ،ثم إحدى الجامعات الأمريكية،فكانت له تجارب مختلفة ،أما في ما يتعلق بمساره النقدي ،فقد تأثر بالنقد المشرقي بحكم تواجده في القاهرة لمواصلة الدراسة ،أين اطّلع على مستجدات النقد الحديث ،المتمثلة في تلك الدراسات النقدية التي أجراها طه حسين حول الشعر الجاهلي في كتابه«في الأدب الجاهلي»،حيث تناوله دراسة تاريخية،وكتابه«ذكرى أبي العلاء المعرى» الذي طبق فيه المنهج النفسي، وقد سار على نهج طه حسين مجموعة من النقاد منهم محمد مندور (1907-1965)،الذي يدين له بالكثير ،في تلك التوجيهات والتسهيلات التي قدمها له لمزاولة الدراسة في فرنسا ،حيث قضى تسع سنين،اطلع خلالها على الآداب الغربية والنقد الحديث، فكان «أول من أرسى معالم النقدية اللانسونية في الوطن العربي ،ومن غريب المصادفات أن تكون سنة 1946 تاريخا لنهاية النقد التاريخي في فرنسا،وفي الوقت نفسه تاريخا لبدايته الفعلية في النقد العربي »[1]. بداية بالمشرق ثم وفدت هذه المناهج إلى المغرب العربي في إطار التأثر الأدبي والنقدي ،وبتوافد هذه المناهج يكون النقد الأدبي في الجزائر قد انتقل من مرحلة التذوق والانطباع إلى مرحلة جديدة معيارية توصيفية تنبني على مناهج علمية ،وهذه المناهج بطبعها تحمل في طياتها عديد المصطلحات النقدية التي تتخذها أدوات إجرائية لدراسة النصوص الأدبية ونقدها.

1.2النقد التاريخي عند أبي القاسم سعد الله:

أجمع النقاد الجزائريون أن ريادة توظيف المنهج التاريخي في النقد الجزائري تعزى إلى الدكتور أبي القاسم سعد الله،في تلك المقالات النقدية التي كان ينشرها في مجلة الآداب

اللبنانية بين سنة 1954م و1958م ،ثم قام بجمعها في كتابه"دراسات في الأدب الجزائري الحديث"،وقد ذكر أبو القاسم صراحة بأن له السبق في هذا النوع من الدراسة النقدية حيث قال:«ولعله من المفيد التأكيد على أني كنت حين كتبت هذه الأبحاث –وقد أشار إليها سابقا-أُورِدُ طريقا مبهما وأسير بلا دليل،إذ لا أعرف أحد أرّخ،قبل هذه الأبحاث،للأدب الجزائري العربي أو تناوله بالنقد والتقييم»[2]وتمت هذه الدراسات وفق دراسة نقدية تاريخية لمختلف أشكال الأدب الجزائري الحديث،حيث شرع أبو القاسم سعد الله بداية بالشعر الحديث ،ولتسهيل دراسته هذه قام بتقسيمه إلى أقسام حسب الفترات الزمنية،وقد اعتمد في هذه الدراسات النقدية على مجموعة من المفاهيم والمصطلحات النقدية،لإدراكه بأهميتها في ميدان العلم،إذ أن تحديد المصطلح أولا أمر ذو أهمية بالغة«بالنسبة للنقاد والباحثين ،فهو يساعدهم أولا على ضبط تفكيرهم وتوجيهه وتعميقه،ويساهم ثانيا في تبادل خبراتهم وأفكارهم،ويقضي ثالثا على العشوائية الشائعة في استخدام المصطلح،يقضي رابعا على جوانب اللبس والغموض في نصوص البحوث المترجمة وغير المترجمة»[3]

2-1-1- مصطلحات النقد التاريخي:

يتطرق النقد التاريخي إلى دراسة النص الأدبي دراسة سياقية خارجية،فيعنى بالتطرق إلى الأديب من حيث حياته،نشأته،ظروفه،ظروف عصره و أدبه،يربطه بالأحداث والمناسبات التاريخية،فإذا تتبعنا بعض الدراسات النقدية الأدبية التي تناولت المصطلح النقدي التاريخي لوجدنا أهم هذه المصطلحات حضورا هي«البيئة،النشأة،التاريخ،التطور،الزمان والمناسبة»[4]،وقد استمد النقد التاريخي في الجزائر جهازه الاصطلاحي ومفاهيمه متأثرا بما قدمه الناقد هيبوليت تين Hippolyte Tin(1828-1893) في منهجه التاريخي الذي ينبني على ثلاثيته (العرق،البيئة،الزمان).فأبو القاسم سعد الله حينما تناول الأدب الجزائري بالدراسة في كتابه«دراسات في الأدب الجزائري الحديث»وظف المنهج التاريخي واعتمد على مصطلحاته منها مصطلح النشأة،الأحداث والبيئة،ويعلن صراحة بهذا النهج بقوله:«وكانت رغبة منّي في أن تحتفظ هذه الدراسات بطابعها التاريخي والعاطفي،فقد كتبت تحت ضغط الثورة التي كانت

تعيشها الثورة،وكتبت بروح خاصة في فترة من العمر لا يمكن التنكر لها حين قفز الزمن بالإنسان من سنة لأخرى ومن عقد للآخر»[5]

-مصطلح النشأة:

يعد مصطلح النشأة أساسيا في النقد التاريخي،شاع في النقد الجزائري مع الدكتور أبي القاسم سعد الله في دراسته لشعر محمد العيد آل خليفة في مقال له نشره في مجلة الآداب اللبنانية في ماي 1960م تحت عنوان«محمد العيد،كبير شعراء الجزائر»تحدث عن حياته ونشأته،وفي كتابه بعنوان«شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة»،قد جاء حديثه عن مصطلح النشأة والظروف المحيطة بالشاعر في القسم الأول،في الفصل الثاني من الكتاب .تطرق من خلاله إلى حياة الشاعر ،تجاربه وثقافته وآراؤه المختلفة.

-مصطلح البيئة:

هذا المصطلح كذلك تم تداوله من طرف أبي القاسم في دراسته لشعر محمد العيد آل خليفة،وتم ذكره تحديدا مع مصطلح النشأة في القسم الأول الفصل الثاني من المؤلف .عالج من خلاله الناقد ظروف الشاعر الحياتية الاجتماعية وربطها بالظاهرة الأدبية،حيث اعتبر الواقع الاجتماعي من المؤثرات الأساسية في تطور الشعر الجزائري الحديث،فذكر أن الشعر أصابه تطور ملموس على يد الحركة الإصلاحية،«تجلى في ظهور شعر جديد يختلف كثيرا عن شعرها قبل الحرب العالمية الأولى ،متعدد الأغراض يتماشى مع الواقع الاجتماعي ويستلهم وجدانه الجماعي،فكان أن ظهر الشعر الوطني الإصلاحي والاجتماعي والسياسي،كما تطور من ناحية الفنية بعض التطور »[6]

-مصطلح المناسبة:

يشغل هذا المصطلح حيّزا واسعا من قائمة مصطلحات المنهج التاريخي لدى سعد الله،فهو يعمد إليه بشكل كبير في ربط النصوص الأدبية بتلك المناسبات التاريخية والأحداث التي زامنتها،صرح الدكتور سعد الله بأنه لجأ إلى توظيف هذا المصطلح في دراساته النقدية منها دراسته لشعر آل خليفة،يقول :«عكفت مدة على دراساتها وربطها بالأحداث والمناسبات التي قيلت فيها،وتتبعت تطور الشاعر خلال تجربته الشعرية الطويلة ...وخرجت بعد ذلك بهذه الدراسة التي لا تعدو أن تكون جولة في ديوان ،وانفعالا بأحداث ورؤيا وتجربة إنسان شاعر »[7].فبعد الدراسة التاريخية التي أجراها

للشعر الجزائري،«يتبين إلى أي حد كان الشعر مرآة للأحداث ،ولسانا صادقا أمينا للتعبير عن إحساس الشعب تجاه قضاياه:الخاصة والعامة،الداخلية والخارجية،وقد أصبح بما لا يدع مجالا للشك أن الشعب لم يكن غافلا ولا ساهيا عن مجريات الأحداث ... »[8]

-مصطلح المرحلة و الفترة:

يعد هذا المصطلح في الحقيقة أداة يستخدمها الناقد سعد الله كثيرا،حين يقسم الأدب،شعرا ونثرا إلى فترات زمنية مختلفة،ليميز الأدب من حيث مضامينه وموضوعاته،لكن كثيرا ما واجهته بعض العقبات صعّبت من مهمته،بحكم أن هناك مؤثرات وتيارات خارجية ظهرت في الأدب الجزائري الحديث،و«أن المؤثرات كثيرة ومتباينة،وأن التيارات عديدة ومتشابكة .فمن الصعب الفصل بين فترة وفترة في تطور الأدب سيما إذا كانت جميع الفترات متشابكة في خط يغلب عليه الاعتدال والتوافق»[9]،لكن هذا لا يعني أنه استسلم لهذه العقبات التي ذكرها،فقد استخدم آلية التقسيم المرحلي للظواهر الأدبية في دراسته للشعر الجزائري الحديث،حين امتدت دراسته من أواخر القرن التاسع عشر إلى سنة 1954،تناولها بالدراسة عبر مراحل خمس،تضمنت كل مرحلة أحداثا تاريخية ومناسبات متداخلة ،وهي على الشكل التالي :

-**المرحلة الأولى:** أطلق عليها شعر المنابر وكانت من أواخر القرن الماضي إلى سنة 1925م

- **المرحلة الثانية:**شعر الأجراس وتمتد بين سنتي 1925-1936

-**المرحلة الثالثة** :أطلق عليها سعد الله شعر البناء وكانت بين 1936إلى 1945م

-**المرحلة الرابعة:** شعر الهدف من سنة 1945 إلى 1954م

-**المرحلة الخامسة:** مرحلة الثورة وامتدت من 1954م

كانت هذه أهم المصطلحات والأدوات الإجرائية للمنهج التاريخي والتي توسل بها أبو القاسم سعد الله في دراسته للشعر الحديث ،وهي الآليات التي حددها سانت بيف .St Bev(1804-1869) وهيبوليت تينHippolyte Tin(1828-1893) وثلاثيته الشهيرة(العرق-البيئة-الزمان)

2.2المنهج الاجتماعي:

ينظر المنهج الاجتماعي للظاهرة الأدبية على أنها نتاج اجتماعي ،وأنها تحمل أبعاده،وتواكب تحولاته وتطوراته الحاصلة،نشأ عند الغرب ،ثم انتقل إلى النقد

الجزائري عن طريق المثاقفة المشرقية،ظهر مع أبي القاسم سعد الله الذي يعد أول من استخدمه سنة 1959في مقال بعنوان «البطولة في الأدب الجزائري»،عكس ما روّج له في أن البدايات الأولى لهذا المنهج كانت في سنوات السبعينيات مع الركيبي والدكتور محمد مصايف،و قد عدل الدكتور أبو القاسم سعد الله عن المنهج التاريخي لسبب أن المنهج الاجتماعي الأنسب لدراسة الفنون النثرية،أشار إلى ذلك في قوله:"إن النثر أشدّ التصاقا بالأرض من الشعر،وقد تجلت هذه الحقيقة في النثر الجزائري بعامة،والرواية بخاصة،فقد ساعدت ظروف الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى على سيادة المذهب الواقعي ووجد فيه الكتاب على اختلاف ميولهم وثقافتهم مجالا للتعبير...»[10]،كما قام بدارسة نماذج نثرية دراسة اجتماعية في الرواية الجزائرية والقصة والمسرحية،وأشار إلى فن المقال والأدب الشعبي ..

2-2-1-مصطلحات النقد الاجتماعي:

-مصطلح الالتزام :

يتخذ المنهج الاجتماعي عدة مصطلحات لدراسة النص الأدبي فمن بين مصطلحاته نجد مصطلح«الالتزام»أكثر المصطلحات التي تحرك الأدوات المنهجية عند أبي القاسم سعد الله في بحثه الموسوم ب«تصميم للشعر الجزائري الحديث»،وقد آمن منذ البدء أن الالتزام هو«اعتناق هذا الأديب شاعرا كان أم كاتبا لموضوعات وطنية أو إنسانية أو مذهبية عن اختيار،فالالتزام قبل كل شيء اختيار شخصي دون ضغط خارجي»[11].وقد أشار في دراسته للشعر الجزائري بعدما قسمه إلى مراحل إلى أنه شعر ملتزم،«أهدافه إصلاحية ترمي إلى إنماء الوعي الشعبي عن طريق الدين والمبادئ الخلقية ...وانتسابه كان إلى الفكرة الإصلاحية التي لم تكن تبدو في شكل منظم يسمح لها بالظهور كمبدأ ...»[12]،لم يرتبط بشكل مباشر لأي تيار ولم يرتبط بالأحزاب السياسية ،لكنه ظلت تعنيه الحركة الإصلاحية،و«كان ينظر إلى القضايا الوطنية جميعها من زاوية واحدة هي زاوية الإصلاح الثقافي والاجتماعي»[13]

-مصطلح الطبقة:

يولي الناقد سعد الله لمصطلح«الطبقة»اهتماما بالغا لتأثره بالمادية الجدلية«متخذا منه مفتاحا بديلا لمواجهة النص،فهو يركز كثيرا على التناقضات

الاجتماعية في النص وما يمكن أن تفرزه من صراعات طبقية،لا سيما نضال الطبقات المحرومة ضد الإقطاعية والبرجوازية»[14]

-مصطلح البطل الملحمي:

شاع هذا المصطلح بكثرة عند النقاد الجزائريين في دراستهم للنصوص الروائية،خاصة الروايات ذات الموضوعات الواقعية النقدية أو الواقعية الاشتراكية،استخدمه الناقد أبو القاسم سعد الله في دراسته لروايات محمد ديب الثلاث«الدار الكبيرة»و «الحريق»و«المنسج»بتحديد شخصية عمر«منذ كان طفلا يعيش مع أمه في منزل قديم عفن في مدينة تلمسان إلى أن يصبح رجلا عاملا في مصنع للنسيج ينتظر مصيره تماما كما ينتظره الآلاف من مواطنيه،وهو المصير الذي حدده بقيام ثورة 1954،وعمر في تنقله من مرحلة البيت إلى المدرسة ثم الريف ثم المصنع لم يسر في غير الطريق الذي رسمه له المؤلف ...والبطل عمر في بطولته صورة لآلاف الأطفال الجزائريين في تشردهم وضياعهم »[15]،كما قام بدراسة شخصية بطل رواية العتاريس لإدريس الشرايبي الذي هاجر من الجزائر إلى باريس وأراد أن يحيى حياة أرقى من تلك التي عاشها أبناء وطنه،كما كانت له أيضا وقفة مع شخصية بطلة رواية«غادة أم القرى»لأحمد رضا حوحو،«شخصية زكية الفتاة التي حرمت من التعليم وممارسة حقوقها ،وفي هذه الرواية الصغيرة يعالج الكاتب مشكلة الحجاب التي شغلت الأذهان والأقلام زمنا طويلا والتي مازال مجتمعنا يعاني منها حتى الآن»[16]وبعد دراسة أبي القاسم سعد الله لهذه النماذج القصصية،خلُص إلى أن البطل في الرواية الجزائرية ليس مثلا أعلى ولا نموذجا خارقا تتجسد فيه مجموعة من الأفكار والمبادئ،«إنهم أبطال حقيقيون يعيشون في مستوى الشعب المادي وقلما يشاركونه حياته الروحية ...ليسوا خياليين مثاليين ما أنهم ليسوا انهزاميين رجعيين .إنهم أفراد تتمثل فيهم طبائع البيئة بخيرها وشرها...»[17]

إذن«مصطلح"البطل"يعد من أكثر المصطلحات النقدية تداولا في ضوء هذا المنهج،حتى إننا وجدنا من خصه بكتاب كامل،يتجاوز خمسمائة صفحة»[18]

-مصطلح الصراع:

تجسده شخصية البطل في الأعمال الأدبية في الرواية والقصة والمسرحية التي قام بدراستها الدكتور سعد الله،وقد ذكر إنها تحمل الخطوط الكبيرة للمجتمع،تحمل حياة

الفرد همومه وانشغالاته،همومه وآلامه وأماله،تصور أحوال المجتمع،«مجتمع ذلك العهد لأننا نجد صراعا بين واقع نعانيه وبين أمل يراودنا ونحاول الوصول إليه،لا لكونه أملا سياسيا فقط،بل لكونه أملا حياتيا فيه نهوض اجتماعي وتحرر سيّاسيّ واندفاع اقتصادي وثقافي»[19]

مصطلح البطل المضاد:

البطل المضاد من أنواع الشخصية القصصية ،في القصة أو الرواية،وظفه الدكتور أبو القاسم سعد الله في تحليله للقصة القصيرة والأقصوصة،وقد ذكره بمفهوم البطل الذي يحمل فكرة وطنية أو فكرة مضادة،يعود سبب ظهوره إلى تطور المفاهيم السياسية في الجزائر خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وأحداث الثامن مايو ،إذْ «دخل هذا المفهوم في مرحلة جديدة ايجابية تقتضيه العمل على التخلص من الاحتلال وقد تجمعت كل التيارات حول هذا المفهوم حتى تلك التيارات التي كانت يوما ما مضادة أو مترددة أو غير مؤمنة بمستقبل سياسي للجزائر »[20]،مثّل هذا النوع من البطولة أبطال قصص أحمد عاشور خاصة أبطال قصصه:«يوم الجلاء،زواج عصري،الرجلان والدّب الأبيض،وقصة الاندماج،وزوجة أوروبية»،كما نجد البطل الذي يمثل الفكرة المضادة كما تصوره القصة الجزائرية في قصص«سي زعرور،سيدي الحاج والشيخ رزوق»لرضا حوحو ،تسند له أدوار غريبة،إنه بطل تافه عديم الضمير يقدم على الخيانة،يبيع شرفه،هدفه إشباع رغباته والحصول على ألقاب ورتب.

3.2 المنهج النفسي عند أبي القاسم:

قبل الحديث عن المنهج النفسي في النقد الجزائري الحديث،تجدر بنا الإشارة إلى أن هناك دراسات نفسية قليلة جدا،وقد سبق وأن أشار لذلك الدكتور يوسف وغليسي في قراءته للمناهج النقدية السياقية و النسقية في كتابه الموسوم ب«النقد الجزائري المعاصر،من "اللانسونية" إلى "الألسنية"»واقتصرت دراسته التطبيقية على مذكرة لنيل شهادة الليسانس،وقد أرجع هذا الغياب –أي غياب النقد النفساني بتعبيره-إلى نقص في إدراك المفاهيم السيكولوجية لنقادنا من جهة،ومن جهة أخرى،تزامن ظهور المنهج النفساني في الجامعة الجزائرية مع ظهور النقد البنيوي والسيميائي والأسلوبي،لكن هذا الزعم ليس له أساس من الصحة ،فأثناء بحثنا عما له صلة بالنقد الحديث

والمعاصر،عثرنا على دراسة نفسية للشعر العربي،قدّمها الدكتور عبد القادر فيدوح تحت عنوان "الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي –دراسة- سنة 1989،دراسة مطولة شاملة اعتمد فيها الناقد على مختلف آليات التحليل النفسي،تناول خلالها دراسة للشعر العربي القديم والحديث،وختم مؤلفه بثت مصطلحات التحليل النفسي،لكن هذه الدراسة ليست الأولى من نوعها،فقد كان السبق لهذا النوع من الدراسة للدكتور أبي القاسم سعد الله،فكانت هذه الدراسة موجزة لكنها صائبة،طبق خلالها المنهج النفساني ،وقد أبان عن درايته بهذا المنهج ومدى تحكمه في آلياته التحليلية .

في دراسة مقتضبة أجراها الناقد سعد الله عن بعض أغراض الشعر الجزائري الحديث،ونشرها في مجلة الآداب اللبنانية سنة 1958،ذكر أنه يصعب العثور على قصيدة غزلية أو أن هذا الغرض قليل جدا في قصائد الشعراء الجزائريين أو دواوينهم،وقد ذكر أن هذا الغياب مرده أسباب اجتماعية قاهرة وعوامل سيكولوجية كابحة،وأخرى طبيعية قاسية،يرى أن«التركيب السيكولوجي للفرد الجزائري يختلف عن غيره،فهو إلى جانب الكبت الذي يعانيه من جراء معاملة الأمة والمجتمع والاحتلال،يعاني أزمات أخرى نتيجة لقسوة الطبيعة من ناحية،وقسوة الحياة من ناحية أخرى ،ومن هنا يمر الفرد الجزائري بتمزقات حادة وفراغات مخيفة»[21]

2-1-3-مصطلحات النقد النفسي:

-مصطلح التعويض:

يوحي مفهوم هذا المصطلح إلى ما ينتج عن الإنسان «بفعل تأثيرات مباشرة لما يدركه المرء من نقص أو قصور نفسي أو فيسيولوجي ،وبذلك يصبح القصور قوة لتحريك مشاعر الفنان وعاملا فعلا لنشاطه الإبداعي الناتج عن مبدأ قانون التعويض النفسي الذي يقابل مكان الرغبات الجنسية عند فرويد»[22]،واستخدمه أبو القاسم سعد الله بالمفهوم نفسه،فالشاعر الجزائري حسب رأيه كان يبحث عن إحدى طرق التنفيس والترويح عن النفس ،فيوهمنا بألفاظ الغزل ومعاني الصبابة،«نمضي في قراءة هذا الشعر الذي تطربنا موسيقاه،وينشدنا بعطوره،و يلذُّنا بعذاباته وتأوهاته،وتهالك صاحبه أمام الحب الجارف،ولكنا نفيق على الغرض الذي يهدف إليه الشاعر (الحنين)...فندرك أن ذلك الحب وتلك الصبابة،لم يكونا سوى تعويض عما فقده الشاعر من حرية في

التعبير عن حبه»[23]،كما أشار الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى أنه«يمكن للقارئ أن يجد نماذج أخرى لهذا التعريض في (ليلى المطلقة) للحفناوي هالي و(يا هزاري) لمحمد العيد وفي كثير من شعر السائحي وبوشوشي وسحنون وغيرهم»[24]

-مصطلح الجفاف النفسي:

يرجع أبو القاسم سعد أن انعدام الغزل في الشعر الجزائري يعود إلى حالة الجفاف النفسي والاجتماعي عند الشعراء الجزائريين،فالناقد إذن يربط تغزل الشعراء وتشبيبهم بحالات الترف والمرح وروعة الطبيعة وجمال مظاهرها،وهذا ما يفتقده الشاعر الجزائري،لأنه يعيش كل أنواع الفراغ،إنه«فراغ أشد على النفس من الأشغال الشاقة المؤيدة في سجن بربروس.وصحيح أنك تطالع الابتسامة أحيانا على وجه الجزائري ،ولكنها في الحقيقة ،ابتسامة المرارة التي خلفتها سنون عجاف تحت الاحتلال»[25]

3خاتمة

بالمكانة العلمية المرموقة التي حظي بها،استطاع أبو القاسم سعد الله الغوص في كثير من الحقول المعرفية ذات الصلة بالعلوم الإنسانية ،فكان المؤرخ واللغوي والأديب المبدع المجدد والناقد المحدث،تعزى له الريادة في النقد المنهجي،إنه الذي مدّ يده للنقد الأدبي التقليدي الذي كان يغرق في الذوق والانطباع وأخرجه من بوتقة القراءة الجزئية والأحكام النقدية إلى قراءة علمية رصينة تخضع لآليات وإجراءات.

إنّه أبو المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي في الدراسات النقدية الجزائرية الحديثة عكس ما روّجت له بعض الأصوات النقدية الجزائرية،استطاع بكل جدارة أن يستنبت هذه المناهج السياقية في تربة النقد الجزائري مستلهما طروحاتها وآلياتها من النقد الغربي عن طريق الثقافة المشرقية،بحكم مواصلة الدراسات العليا في أعرق الجامعات المصرية.

ورغم أفول نجم المناهج السياقية ،وظهور على أنقاضها مناهج نسقية تعنى بالداخل النصي،لا يمكننا أن نتناسى جهود الناقد الحثيثة وسعيه الجاد إلى إحداث نقلة نوعية في ميدان النقد الأدبي؛هذا الميدان الذي ظل يعاني الركود أو لنقل الانعدام خاصة في مرحلة النصف الأول من القرن العشرين،إذن فجهود أبي القاسم تعد اللبنة الأولى في تأسيس لمنجز نقدي جزائري حديث يعتمد المناهج السياقية ،وبالتالي فهي

مرحلة مهمة لا يمكن إغفالها وتجاهلها في تاريخ النقد الجزائري على وجه الخصوص،منه انطلق النقد يؤسس لنظرة أخرى تعنى بدراسة النص الأدبي داخليا وخارجيا من منظور اجتماعي وتبحث عن قراءة جديدة له .

4. الهوامش:

1يوسف وغليسي:النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الأسنية.رابطة إبداع الثقافية،الجزائر، 2002،ص21

2أبو القاسم سعد الله:دراسات في الأدب الجزائري الحديث. ط 05.: دار الرائد للكتاب، 2005. ص 09

3سمير حجازي مدخل إلى مناهج النقد المعاصر ص138

4أحمد بوجمعة بناني:المصطلح النقدي المعاصر عند عبد الملك مرتاض. ط 1 ،دار الأيام ،عمان ،2017. ص 18.

5أبو القاسم سعد الله.م ن. ص 08

6محمد ناصر.الشعر الجزائري الحديث،اتجاهاته وخصائصه الفنية.ط 2.بيروت:دار الغرب الإسلامي،2000،ص 30

أبو القاسم سعد الله. شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة. ط 3. م و للكتاب ،الجزائر ، 1985. ص 187

عبد الله الركيبي. دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث. مصر :الدار القومية للطباعة ،د ت. ص 308

9أبو القاسم سعد الله. شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة. ط3.: م و للكتاب ، 1985. ص 29.

10أبو القاسم سعد الله. البطولة في الأدب الجزائري. مجلة الآداب،لبنان،ع 04، 1959، ص34.

11يوسف وغليسي.م ن، ص 47-48.

12أبو القاسم سعد الله:تصميمات في الشعر الجزائري الحديث.. مجلة الآداب ،لبنان12، 1957،ص 29.

13أبو القاسم سعد الله: تصميمات في الشعر الجزائري الحديث.. مجلة الآداب ،لبنان12، 1957،ص 28.

14يوسف وغليسي،م ن،ص51.

أبو القاسم سعد الله. دراسات في الأدب الجزائري الحديث. ط5. الجزائر : دار الرائد للكتاب ، 2000.

15ص 57.

16أبو القاسم سعد الله ،م ن،ص58.

17أبو القاسم سعد الله:البطولة في الأدب الجزائري ،مجلة الآداب،لبنان،ع04، 1959، ص 34.

18 يوسف وغليسي:م ن،ص60.

19أبو القاسم سعد الله:البطولة في الأدب الجزائري، مجلة الآداب،لبنان،ع04، 1959،ص 45

20أبو القاسم سعد الله:البطولة في الأدب الجزائري، مجلة الآداب،لبنان،ع04، 1959،ص 45

21 دراسات في الأدب الجزائري الحديث. ط5. دار الرائد للكتاب ،الجزائر، 2005. ص 75.

22عبد القادر فيدوح. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي.: دار صفاء للطباعة والنشر ، د ت. ص 68.

23أبو القاسم سعد الله. دراسات في الأدب الجزائري الحديث،ط5. دار الرئد للكتاب ،الجزائر،2005. ص 76.

24 أبو القاسم سعد الله:الغزل في الشعر الجزائري. مجلة الآداب.لبنان،ع 05، 1958،ص 47.

25أبو القاسم سعد الله. دراسات في الأدب الجزائري الحديث. ط 5.دار الرائد للكتاب،الجزائر،2005. ص 77.

5المراجع:

-أبو القاسم سعد الله :دراسات في الأدب الجزائري الحديث،دار الرائد للكتاب الجزائر،ط2005،5.

-أبو القاسم سعد الله:شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة،م و للكتاب الجزائر ،ط1985،3.

-أحمد بوجمعة بناني: المصطلح النقدي المعاصر عند عبد الملك مرتاض،دار الأيام عمان،ط1،.2017

سمير حجازي :مدخل إلى مناهج النقد المعاصر،ط1،دار التوفيق للطباعة والنشر،سوريا،2004.

-عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي،دار صفاء للطباعة والنشر عمان،د ت

-عبد الله الركيبي :دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ،الدار القومية للطباعة والنشر مصر،دت

-محمد ناصر :الشعر الجزائري الحديث،اتجاهاته وخصائصه الفنية،دار الغرب الإسلامي بيروت،ط2006.2.

-يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، رابطة إبداع الثقافية الجزائر،2002.

المجلات :

- مجلة الآداب اللبنانية،ع1959،04.

-مجلة الآداب اللبنانية،ع1958،5.

-مجلة الآداب اللبنانية ،ع 1957،12.

*** *** ***